بصمة الطفل الرقمية في القرن الحادي و العشرين

د.عصمت خورشيد *

نَعَمْ إنّهُ مواطِنٌ يُولَدُ ببصمته الرقميَّة قبل ميلاده، إنّهُ طِفْلُكَ الذي تتواصل معه عَنْ بُعْد قبل أَنْ يُولَدَ من خلال مشاهدة بصمته الرقمية!

إنّ مِنَ المؤكّد قوله أَنّ لكل طفلٍ بصمتُه الرقمية منذ أَنْ كان جنينًا في رَحِم أُمِّهِ حتى قبل لحظات ميلادِه، فالآباء والأمهات يتواصلون عَنْ بُعْد مع طفلهم وهو جنينٌ عَبْرَ الأجهزة الطبية التكنولوچية، من خلال صور الموجات فوق الصوتية (Via Ultrasound Images) فهذه بمثابة أَوّل بصمة رقمية للطفل، كما أَنّ كثيرًا من الآباء اليوم يشاركون هذه البصمة مع أقرانهم عبر وسائل التفاعل الاجتماعي على الإنترنت.

وبعدما يُوَلَدُ الطفل يضع بنفسه بصمة رقمية أُخْرَى (أصبحت حقًا من حقوقه)؛ فَتُشِيرُ الدراسات التي أَجرَتها شركة أمن الإنترنت (AVG,2010) أَنّ الأطفال بحلول سن الثانية من عُمْرِهِم يمتلكون (92٪) مِنْ هُويَّتهم الرقمية؛ ونكاد نقول في هذا القرن الحادي والعشرين إنّ الأطفال قد يُولدون وفي أيديهم جهاز رقمي!. إنها الحقيقة الواقعية التي أصبحت لها إيجابياتها أحيانًا وسلبياتها أحيانًا أخرى.

ووفقًا لتقرير مُفَوّض الأطفال في المملكة المتحدة للنموِّ الرقمي The UK Children (2017) Commissioner's report "Growing Up Digital"، فإنَّ الأطفال في المرحلة العمرية من ثلاث إلى أربع سنوات يقضون في المتوسط ما يقرب من ثماني ساعات أسبوعيًا.

وتوصي "الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال The American Academy of Pediatrics" بتحديد إجمالي وقت الشاشة المُحَدّد لترفيه الأطفال على الإنترنت بما لا يزيد على ساعة واحدة، مع تثبيط التّعَرُّض لوسائط الشاشة للأطفال دون الثانية.

* مدرس مساعد – قسم رياض الأطفال – كلية التربية / جامعة طنطا– مصر.

فلا يمكن إنكار ضرورة وجود بصمة رقمية (Digital Footprint) لكل طفل؛ خاصةً أطفال المرحلة المبكرة في القرن الحادي والعشرين الذين سيواجهون مستقبلًا رقميًا في كل مناحي الحياة ووجود وظائف مستقبلية غير موجودة الآن!

ولكي يكون هناك مستقبلٌ مفتوحٌ لهؤلاء الأطفال لا بد من الاعتناء بكل طفل حتى يصبح بالغًا، وحق الطفل وحريته في استخدام التكنولوچيا الرقمية تضمن له مستقبلًا مفتوحًا. هذه الحرية الرقمية يجب أن تكون برقابة وبشكلٍ معتدل حتى يتمكن من اكتساب القدرات والمهارات والفرص، ومن دون التقليل من فرص التواصُل بينه وبين الأشخاص والتجارب الاجتماعية والثراء البيئي الثقافي.

ويقترح "تقرير مُفوَّض الأطفال في المملكة المتحدة (2017)" بَرْنَامَج مواطنة رقمية إلزامي في كل مدرسة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين أربعة أعوام إلى أربعة عشر عامًا؛ مما يؤكد ضرورة وجود بصمة الطفل الرقمية Child Digital Footprint بدءًا من المرحلة المبكرة.

إنّ للطفل حقوقًا في بصمته الرقمية تتطلب "العدالة Justice" في توزيع الفوائد ذات الصلة بتقنيات الوسائط التكنولوچية(Digital Media Technologies) ، ورغم ذلك فهناك فجوة رقمية بسبب وجود عدة عوامل تؤدي إلى عدم المساواة.

فنحن اليوم في القرن الحادي والعشرين بحاجة إلى معالجة جوانب الفجوة الرقمية Digital Divide وضمان حق الطفل في الوصول إلى التقنيات الرقمية التي تجعله متعلمًا متفاعلًا، من خلال الوسائط التي تتلاءَم مع فكره وطرح أنشطة بسيطة تعتمد على الألعاب التعليمية والترفيهية، ووجود وسائط تنقل الأنشطة الحسِّية التعليمية التفاعلية.

فهذه البصمات الرقمية للطفل هي الضمان لمستقبل مفتوح، وفي ذلك يؤكد "مكتب تكنولوچيا التعليم بالولايات المتحدة الأمريكية، "(Office of Educational Technology, 2018) 2018 أَنّ الأطفال السلبيين في استهلاكهم للوسائط الرقمية يكونون أقل استعدادًا لمرحلة "رياض الأطفال" وأقل درايةً بالثقافة الإعلامية، ولكن لا يعني ذلك الانخراط في استخدام التكنولوچيا في سن الحضانة (Nursery) في الفترة العمرية من (4–2) سنوات، بل من الضروري وجود درجات ومستويات مختلفة من التفاعل، فتتم مساعدة كل طفل لوضع بصمته الرقمية بالدرجة التي تتلاءم مع عمره الزمني.

يُعَدُّ التمييز بين خصائص وحاجات الأطفال منذ الميلاد حتى السادسة من عمرهم أمرًا

بالغ الأهمية لِلتَّوَصُّل إلى أفضل الطُّرُق لدعم استخدام الوسائط الرقمية، فهناك طرقٌ متعددة لاستخدام التكنولوچيا الرقمية، مثل: (العروض التقديمية، والتفاعل المُوَجّه من الأبوين للتوجيه لأنشطة الإنترنت وترك بصمتهم الرقمية)، ويُطلَق على تلك الاستراتيـچـية: "Talk in Activity"؛ أي الانخراط في التفاعل الاجتماعي مع أطفالكم والمحادثة معهم أثناء استخدام الأجهزة الرقمية؛ للتعبير الحُر عن مشاعرِهِم وأفكارهم التي تتضمنها بصمتهم الرقمية.

كما لا يخفَى علينا جميعًا وجود قانون يجب الاطِّلاع عليه كَوْنُنَا مُعَلِمين أو آباء؛ ألا وهو قانون "COPPA"، والذي يعني قانون حماية خصوصية الأطفال على الإنترنت (Children's Online Privacy Protection Act) الصادر من جِهَةِ اللجنة الفيدرالية لحماية الأطفال الذين (تقلُّ أعمارهم عن (13) عامًا)؛ لتكوين فكرة عامة عن كيفية استخدام المواقع لمعلومات أطفالكم في المرحلة المبكرة والبيانات التي يتم حفظها ببصمتهم الرقمية...

كما يجب على الباحثين ضرورة الانتباه إلى التقنيات الرقمية التي تسمح للأطفال في المرحلة المبكرة من التعاون الاستقصائي Cooperative Inquiry؛ لتطوير مهارات القرن الحادي والعشرين مع تطوُّر بصمتهم الرقمية باستخدامهم البرامج المُفَضّلَة Favorite APPs . وزيارتهم للمواقع الإلكترونية (Website Visited)، وإرسال الرسائل (Message Sent)، وتحميل الفيديو والموسيقا (Music & Videos Downloaded)؛ فكلها انعكاسات لبصمتهم الرقمية (Digital Footprints) التي تساعدهم على التعلُّم المستمر في المستقبل وتزيد من فرص عملهم؛ فتجعل المستقبل مفتوحًا أمامهم ببقاء بصمتهم الرقمية دائمة.

برغم وجود المخاوف بشأن البصمات الرقمية، والتنمُّر، والخصوصية، والأمان؛ يمكن الاستفادة من رؤى الخبراء لتقديم إرشادات للمعلمين والمُرَبِّين في المراحل المبكرة للطفل في توظيف البصمة الرقمية إيجابيًا؛ فتشير بعض الدراسات إلى إنّ "بعض من الأطفال الأستراليين في المرحلة المبكرة في مدينة "نيو ساوث ويلز (NSW)" حينما وصلوا لمرحلة التعليم الأساسي وجدوا أنهم قد تعلموا السلامة الإلكترونية في مرحلة الرَّوْضَة، ويمكنهم وصف الجوانب السلبية للبصمة الرقمية، لكنهم لا يدركون أن البصمة الرقمية يمكن أن تكون إيجابية (Buchanan et al., 2017)، وقد أضافت بحوث أخرى مثل (Ferriter 2011) إنّهُ يمكن للبصمات الرقمية أن تؤثر على مستقبل الأطفال في التعليم والتوظيف؛ بسبب الافتقار إلى البصمة الرقمية الذي يمكن أن يكون ضارًا إذا فقد الطفل المعرفة الإيجابية لإدارته للبصمة الرقمية؛ ركزت وسائل الإعلام

الدولية مؤخرًا على الحالات التي فقد فيها الأفراد وظائفهم أو تم استبعادهم من برامج التعليم العالي، بناءً على المحتوى الموجود في حساباتهم على وسائل التواصل الاجتماعي؛ فكان السبب من خلال الستماع إلى حالات متعددة هو التركيز السلبي على استخدام الأطفال للإنترنت؛ وبالتالي لا يتم تشجيع العديد من الأطفال في المرحلة المبكرة على استخدام الإنترنت بحُريَّة ومتابعة ورقابة غير مباشرة، في محاولة لحمايتهم من ارتكاب الأخطاء؛ لذلك يجب أن نشجعهم أيضًا على تكوين بصمة رقمية إيجابية والتي ستكون مصدر قوة لهم في مستقبلهم؛ فأطفال اليوم هم مستخدمون بغزارة للإنترنت.

بِنَاءً على ما سبق، يجب تعليم الأطفال في المرحلة المبكرة كيفية استخدام هذه التقنيات بطرق إنتاجية وخَلّاقَة، وتعليمهم مهارات عن كيفية تنسيق بصماتهم الرقمية، وإنشاء وإدارة الملفات الشخصية من خلال البقاء في صدارة تواجدهم على الإنترنت مع إدارته والتصرف عليه بفعَّالية، ومساعدة المُعَلِّمين للأطفال في مرحلتَي الروضَة (6 – 4 أعوام)، وبدايات مرحلة التعليم الأساسي (8 – 6 أعوام) على المُشَارَكَة الآمنة والإيجابية عبر الإنترنت، واتِّبَاع قوانين حماية الأطفال وقواعد السلوكيات والامتثال لسياسات استخدام الكمبيوتر، مع التوصية بمراعاة تثقيف الأطفال بإدارة بصمتهم الرقمية؛ لبناء وجود إيجابي عبر الإنترنت يفيدهم دائمًا ويترك أثرًا إيجابيًا فاعلًا.

فإذا استطعنا بوصفنا أولياء أمور ومُعَلِّمِين تعليم الطفل الطريق إلى المشاركة الإيجابية عبر الإنترنت؛ فسوف يتحقق "حق الطفل في مستقبل مفتوح A Child's Right to an Open Future" بفضل البصمة الرقمية الدائمة للأبد (Digital Footprint Forever).

References:

- Ash, A. (2009). Social networking 101: Facebook and your digital reputation. National Post. Retrieved from http://www.nationalpost.com/life/story.html?id=1993356
- Australian Communications and Media Authority. (2013). Digital Footprints and identities: Community attitudinal research.
- Buchanan, R., Southgate, E., Smith, S.P, Murray, T. & Noble, B. (2017). Post no photos, leave no traces: Children's digital footprint management strategies. E-Learning and Digital Media, 14(5), 275-290. doi: 10.1177/2042753017751711
- Ferriter, W.M. (2011). Digitally Speaking. Positive Digital Footprints. Educational Leadership, 68 (7), 92-93.
- National Crime Prevention Council. (2007). Teens & cyberbullying. Retrieved from: http:// surfsafety.net/ Cyberbullying-Exec%20Summary-FINAL.htm
- Northern Grid for Learning. (n. d.). Understanding e safety and managing the risks.
- OECD. (2016). Are there differences in how advantaged and disadvantaged students use the internet?, PISA in Focus, No. 64, Paris: OECD Publishing. Retrieved from: http://dx.doi.org/10.1787/5jlv8zq6hw43-en
- Yan, Z. (2018). Child and Adolescent use of mobile phones: An unparalleled complex developmental phenomenon. Child Development, 89 (1), 5-16.